معالي
د. مصطفى
عثمان إسماعيل
الأمين

هو مندوب السودان لدى الأمم المتحدة بجنيف، ورئيس مجلس أمناء جامعة أفريقيا العالمية. على المستوى الأكاديمي؛ حصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من المملكة المتحدة عام 1988م. ثم حصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة أم درمان الإسلامية عام 2010م. وهو أستاذ العلاقات الدولية بجامعة أفريقيا العالمية.

معالي د. مصطفى عثمان إسماعيل الأمين

السادة الحضور الكرام..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

في البدء اسمحوا لي بتهنئة دولة الإمارات العربية المتحدة على اقتراح ورعاية هذا المؤتمر العالمي الذي يأتي في وقت تتزايد فيه الحساسيات العرقية والدينية في أكثر من مكان حول العالم، وهي سانحة طيبة للتذكير بأن هناك الكثير من المشتركات التي تجمع الناس على اختلاف توجهاتهم وخلفياتهم؛ فجميع البشر قد خلقوا من ذات التراب وجميع المؤمنين يؤمنون بأن خالق البشر واحد، وأن جميعهم يستحق الكرامة؛ لأن فيهم بعضاً من روح الله.

هي سانحة لنتذكر في خضم الصراعات والنزاعات التي يخوضها العالم أن البشر جميعهم من منشأ واحد، وأنهم جميعاً من صنع الله وهي الحقيقة التي تكفي كبساط أولي وأرضية للوصول إلى التفاهم المشترك والحوار البناء على ما يُختلف عليه من قضايا واتجاهات؛ حيث يبقى جميع الناس أخوة، فإن اختلفوا في الهوية والعقيدة فهم لن يختلفوا -بأي حال- في المشاعر الإنسانية، وفي كونهم شركاء على ذات الأرض، يتنفسون ذات الروح، التي هي بعض من روح الخالق عز وجل.

الإخوة الأفاضل؛

إننا أحوج ما نكون -ونحن نعيش في هذا الجزء من العالم- أن نتذكر هذه القيم، وأن نذكّر العالم بأن هذه المنطقة قد تلقت كل رسائل الروح والنور من السماء، وأنه النور الذي انطلق ليعم العالم كله. في هذه المنطقة عاش إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلى الله علية وسلم) وغيرهم من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، يدعون لعبادة الله برسالة الوحي السماوي الواحد، ويوصون أتباعها: "لا إكراه في الدين"، وبالحوار بالتي هي أحسن. ولدت هنا حضارات الإيمان التي اتسع نورها ليشرق على جميع البشر ضياء ونوراً وسعادة. حضارات حملها سكان هذه الأرض، الإبراهيميون الأوائل والعيسويون الأوائل والمسلمون.

إن الحوار حول الأخوة الإنسانية هو في أصله حوار ثقافي، لا يمكن فصله عن أعمال العلم والمعرفة وهو مرتبط بكل ما هو متصل بهويات الشعوب وتاريخها وجغرافياتها؛ فبدون هذا القدر من المعرفة لا يمكن لنا أن نفهم قدر الارتباط بين البشر في هذا العالم، مهما كانوا متباعدين ومختلفين في ظاهرهم.

إن عدونا الأساسي –هنا- هو الجهل والإرهاب وضيق الأفق الذي يصور العالم من لونين فقط؛ إما أسود أو أبيض، أو إما معنا أو ضدنا، كما هو لسان بعض الذي يتمتعون بذهنية متخلفة غير قادرة على اللحاق بركب الحضارة وغير قابلة للتطور.

في هذا الإطار يكون على المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية واجب هام في بناء ونشر مبادئ الأخوة الإنسانية، ما يستدعي مراجعة المناهج التعليمية والبرامج الثقافية والإعلامية لتصب في هذا الهدف النبيل، كي نربي أجيالاً على قيم التسامح والمحبة، وهذه فرصة لنشكر مرة أخرى دولة الإمارات على الاهتمام بهذا الأمر، وعلى تخصيص وزارة كاملة باسم التسامح.

في هذا المؤتمر يمكننا أن نرسل رسالة مفادها أن الأصل هو الالتقاء بين الحضارات والحوار،

وليس الصراع والحرب كما تبشر بهذا بعض الأدبيات سواء لدى هذه الجهة أو تلك، بل يمكن القول: إن الحضارة الإنسانية هي حضارة واحدة وليست حضارات متعددة، وأن جميع الشعوب قد ساهمت في تطوير هذه الحضارة بقدر معين حتى تصل إلى ما هي عليه اليوم.

المباني العظيمة والإنجازات العصرية الكبيرة والآثار الخالدة جميعها لم يصنعها إنسان واحد، ولا يمكن القول: إن منجزها كان مسيحيّاً فقط أو مسلماً فقط أو يهودياً فقط، بل كانت هذه الإنجازات ثمرة لتعاون كثير من الجهات التي تضافرت لخلق هذا الإنجاز. هذا هو ما نعنيه بالحضارة الواحدة.

الإخوة الأفاضل،

إن المسؤولية المشتركة تحتم علينا كأهل أديان ومفكرين ومثقفين أن نعمل صفاً حتى تسود الأخوة الإنسانية وتتراجع، بل وتنتهي، دعاوى التطرف والإرهاب والإسلاموفوبيا وكراهية الأجانب التي نجدها في الشرق والغرب وتهدد قيم الأخوة والتسامح، ولعلي أقترح على هذا المحفل الرفيع الذي يشرفه قامتان تمثلان ديانتين عظيمتين أن يخرج بآلية تنسيقية بين الديانات الإبراهيمية مهمتها العمل على ترسيخ معاني الأخوة والمحبة والسلام.

الأخوة الأفاضل،

إن واجب الدعاة ورجال الدين كبير ومفصلي وتقع عليهم مهمة كبيرة في التقليل من حدة الاستقطاب ونشر ما يقنع الأجيال بأن الدين واحد وأن قيمه الأساسية، توحيد الله وكرامة الإنسان، مشتركة بين جميع الأديان وأن ما اختلف بين موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام لم يكن سوى اختلاف تفاصيل الشرائع التي تختلف بالضرورة من زمن إلى زمن ومن حين إلى حين، أما أصل الرسالة فواحد. بهذا الفهم تتلاشى مسببات الدعوة للصراع الديني أو للحروب المقدسة التي تحمل الناس على قتال بعضهم البعض لمجرد اختلاف أديانهم أو عقائدهم، وبهذا الفهم يمكننا أن نعمل بدل تقديس الحرب على تقديس السلام والدعوة إليه والذهاب إليه في أي مكان كان.

إن الواجب هو تقديس الإنسان والحرص على منحه الكرامة الواجبة، أيًّا كانت خلفيته ووضعه، وبهذا تكون مساعي السلام والحفاظ على الأرواح التي يسهر عليها أفراد أو منظمات محلية أو دولية كذلك مساعٍ مقدسة، فدم الإنسان في كل الشرائع يظل أهم من أي مبنى وإن كان أحد تلك المباني التي ينظر إليها بتقديس ويحج إليها من كل مكان، فكل مبنى، على ما يتحلى به من أهمية، هو من صنع الإنسان الذي لولاه لما كان ذلك المبنى، أما الإنسان فهو بناء الله، فهل يجوز أن يهدم إنسان ما بنى الله؟

هكذا يكون على المنظمات الدولية والإقليمية الرسمية والشعبية دور كبير في إيجاد عالم تسود فيه روح العدالة والأخوة والطمأنينة.

للأسف الشديد فإن هيكل النظام العالمي الممثل في الأمم المتحدة مختل، فقرارات الجمعية العامة التي تمثل برلمان العالم غير ملزمة وتظل حبراً على ورق، ومجلس الأمن، الجهاز التنفيذي، يسوده "بالفيتو" زمرة من المنتصرين في الحرب العالمية الثانية قبل نصف قرن، حتى أصبح نظاماً يسوده قانون القوة والمصالح الذاتية وهو يدعو إلى الصراع بدل التسامح والإخاء مما يستدعي عملاً مستمراً وحواراً متصلاً لتعديله وتقويمه.

الإخوة الأفاضل،

إن كل ما سبق يتسق مع مبادئ دولة المواطنة والمدنية التي لا تبنى على أساس ديني أو طائفي ويوجد بداخلها مكان لجميع أبنائها الذين يحظون بمعاملة متساوية بغض النظر عن انتماءاتهم. هي دولة لا مكان فيها للإجبار على اتباع دين معين أو عقيدة دون غيرها ولا مكان فيها لأي نوع من التمييز بسبب هذا النوع أو غيره من الاختلافات. هذا كله سوف يفسح المجال لأن تتبوأ قيمة الحرية مكانها كقيمة أساسية لا يمكن بدونها صنع أي حضارة.

إن المنطقة العربية هي الأجدر بحمل راية السلام والأخوة الإنسانية، ونحن نتطلع للانتقال بها قريباً من بيئة للاحتراب والقتال إلى بيئة سلام، بما يشمل منطقة فلسطين وجوارها المقدس عملاً بوصية سابقة للبابا دعا فيها لأن نفكر بتحويل الجدار إلى جسور للمحبة.

إن الشباب هم نصف الحاضر وكل المستقبل، وإن الأمم تتعافى بالتسامح وتشقى بالتعصب وإن مهمة البشر هي تعمير الدنيا بالخير والعدل والحرية. هنا لابد من التصدي للمشكلات التي يعاني منها الشباب، مثل البطالة والفقر والفاقة والتي تجعلهم يستجيبون لدعاوى المنظمات المتطرفة. علينا كذلك أن نتصدى للظلم المستشري بإيجاد الحلول اللازمة للمشكلات السياسية والاقتصادية في فلسطين وفي ميانمار؛ حيث مأساة أقلية الروهينجا وغيرهما، وبنشر قيم الدين السمحة في حياتنا التي غلبت عليها المادية في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية.

أملنا كبير ونحن نجتمع في أرض حكيم العرب أن تنطلق الحكمة وتسود المحبة والسلام والعدل أرجاء المعمورة. قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات :13] . وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ [المائدة: 2] صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.